سلسلة كتيبات شبكة بينونة

شرح خواتيم

سورة البقرة

الشيخ
د. عبد الرحمن بن سلمان الحمادي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

شرح خواتيم

سورة البقرة

الشيخ
د. عبد الرحمن بن سليمان الحمادي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet

www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فبين يديك أيها القارئ الكريم، مادة علمية، أصلها محاضرة ألقيتها عبر أثير إذاعتي مركز رياض الصالحين الإسلامي بدبي، وشبكة بينونة للعلوم الشرعية بأبوظبي بارك الله في القائمين والمنظمين وأجزل لهم المثوبة.

أخي القارئ، أختي القارئة!

بين يديكم وقفات تدبرية مع خواتيم سورة البقرة.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ

أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾:

المعنىٰ جميع ما في السموات وما في الأرض ملك لله، لأنه الموجد المخترع لا رب غيره.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾:

معناه أن الأمر سواء، لا تنفع فيه المواراة والكتم، بل يعلمه ويحاسب عليه، وقوله: ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ تقتضي قوة اللفظ أنه ما تقرر في النفس واعتقد واستصحبت الفكرة فيه، وأما الخواطر التي لا يمكن دفعها فليست في النفس إلا علىٰ تجوز.

واختلف الناس في معنىٰ هذه الآية، ففسرت بأنها نزلت: «**في معنىٰ الشهادة التي نهي عن كتمها، و أن الكاتم لها المخفي في نفسه محاسب**»، وفسرت بأعم من ذلك، وأنها نزلت فيما يجول في النفوس والخواطر، حتىٰ إن هذه الآية لما نزلت شق ذلك علىٰ أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالوا: هلكنا يا رسول الله إن حوسبنا بخواطر نفوسنا، وشق ذلك علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنه قال لهم أتريدون أن تقولوا كما قالت بنو إسرائيل: سمعنا وعصينا؟! بل قولوا سمعنا وأطعنا، فقالوها، فأنزل الله بعد ذلك ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾

[البقرة: ٢٨٦]، فكشف عنهم الكربة ونسخ الله بهذه الآية تلك. وقد جاء عن ابن عباس نحو هذا التفسير، وأن الآية التالية نسختها، فنسخت الوسوسة، وثبت أن المؤاخذة بالقول والفعل فقط.

والذي يظهر كما قال ابن جرير الطبري وغيره، أن هذه الآية محكمة غير منسوخة، والله تعالىٰ يحاسب خلقه علىٰ ما عملوا من عمل وعلىٰ ما لم يعملوه مما ثبت في نفوسهم فأضمروه ونووه وأرادوه، فيغفر للمؤمنين ويأخذ به أهل الكفر والنفاق. وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه ما يشبه هذا المعنىٰ.

قال ابن عطية: وهذا هو الصواب، وذلك أن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾، معناه مما هو في وسعكم وتحت كسبكم، وذلك استصحاب المعتقد والفكر فيه، فلما كان اللفظ مما يمكن أن تدخل فيه الخواطر أشفق الصحابة والنبي ﷺ،

فبيّن الله تعالىٰ لهم ما أراد بالآية الأولىٰ وخصصها، ونص علىٰ حكمه أنه لا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَها [البقرة: ٢٨٦]، والخواطر ليست هي ولا دفعها في الوسع، بل هو أمر غالب، وليست مما يكسب ولا يكتسب، وكان في هذا البيان فرحهم وكشف كربهم، وباقي الآية محكمة لا نسخ فيها.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ يعني من العصاة الذين ينفذ عليهم الوعيد، فالله يغفر لمن يشاء ممن ينزع عنه، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ ممن أقام عليه، وعن سفيان الثوري قال: «**يغفر لمن يشاء: العظيم ويعذب من يشاء علىٰ الصغير**».

ولما ذكر المغفرة والتعذيب بحسب مشيئته تعالىٰ أعقب ذلك بذكر القدرة علىٰ جميع الأشياء فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، إذ ما ذُكر في الآية من قدرة الله عز وجل وإحاطته بما في السرائر جزء من

قدرة الله الشاملة.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ اشتد ذلك علىٰ الصحابة، فأتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بركوا علىٰ الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها؛ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا! بل قولوا: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير؛ فلما اقترأها القوم ذَلَّت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ**

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]؛ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالىٰ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال تعالىٰ: «نعم»؛ ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ ﴾ قال تعالىٰ: «نعم»؛ ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ قال تعالىٰ: «نعم»؛ ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال تعالىٰ: «نعم».

ومن فوائد الآية: إثبات أن العبد يحاسب علىٰ ما في نفسه؛ وظاهره العموم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ﴾؛ ولكن جاءت النصوص الأخرىٰ بالتفصيل في ذلك علىٰ النحو التالي:

الأول: أن يكون ما يطرأ علىٰ النفس وساوس لا قرار

لها، ولا ركون إليها؛ فهذه لا تضر؛ بل هي دليل علىٰ كمال الإيمان؛ لأن الشيطان إذا رأىٰ من قلب الإنسان إيمانًا ويقينًا حاول أن يفسد ذلك عليه؛ ولهذا لما شكا الصحابة إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يجدونه في أنفسهم من هذا قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم؛ قال: ذاك صريح الإيمان**»؛ وفي حديث آخر: «**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**».

الثاني: أن يهمّ بالشيء المحرم، أو يعزم عليه، ثم يتركه؛ وهذا أنواع:

النوع الأول: أن يتركه لله؛ فيثاب علىٰ ذلك، كما جاءت به السنة فيمن همّ بسيئة فلم يعملها أنها تكتب حسنةً كاملة؛ قال الله تعالىٰ: «**لأنه تركها من جرّائي**»، أي من أجلي.

النوع الثاني: أن يهمّ بها، ثم يتركها عزوفًا عنها؛ فهذا

لا له، ولا عليه؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إنما الأعمال بالنيات؛ وإنما لكل امرئ ما نوى** ».

النوع الثالث: أن يتمناها، ويحرص عليها؛ ولكن لا يعمل الأسباب التي يحصِّلها بها؛ فهذا يعاقب علىٰ نيته دون العقاب الكامل، كما جاء في الحديث في فقير تمنىٰ أن يكون له مثل مال غني كان ينفقه في غير مرضاة الله؛ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **فهو بنيته؛ فهما في الوزر سواء** »

النوع الرابع: أن يعزم علىٰ فعل المعصية، ويعمل الأسباب التي توصل إليها؛ ولكن يعجز عنها؛ فعليه إثم فاعلها؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: يا رسول الله هذا القاتل؛ فما بال المقتول؟ قال: =إنه كان حريصاً على قتل صاحبه** ».

ومن فوائد الآية: إثبات محاسبة العبد؛ لقوله تعالىٰ:

﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾؛ ولهذا يروىٰ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا**»؛ فينبغي للإنسان أن يكون كيسًا يحاسب نفسه قبل أن يحاسَب.

قوله عز وجل:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾

سبب هذه الآية أنه لما نزلت: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ الآية التي قبلها؛ وأشفق منها النبي ﷺ وأصحابُه رضي الله عنهم، ثم تقرر الأمر علىٰ أن قالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا، فرجعوا إلىٰ التضرع والاستكانة، مدحهم الله وأثنىٰ عليهم في هذه الآية، وقدم ذلك بين يدي رفقه بهم وكشفه لذلك الكرب

الذي أوجبه تأولُهم، فجمع لهم تعالىٰ التشريف بالمدح والثناء ورفع المشقة في أمر الخواطر، وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ، كما جرىٰ لبني إسرائيل ضد ذلك؛ من ذمهم وتحميلهم المشقات من المذلة والمسكنة والجلاء؛ إذ قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وهذه ثمرة العصيان والتمرد علىٰ الله عاذنا الله من نقمه.

و﴿ءَامَنَ﴾ معناه صدق، و﴿ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ، و﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ هو القرآن وسائر ما أوحي إليه، من جملة ذلك هذه الآية التي تأولوها شديدة الحكم، ويروىٰ أن رسول الله ﷺ لما نزلت عليه قال: ويحق له أن يؤمن، و﴿كُلٌّ﴾ لفظة وردت هنا بعد قوله ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ دل ذلك علىٰ إحاطتها بمن ذكر.

والإيمان بالله هو التصديق به وبصفاته ورفض

الأصنام وكل معبود سواه.

والإيمان بملائكته هو اعتقادهم عبادا لله، ورفض معتقدات الجاهلية فيهم.

والإيمان بكتبه هو التصديق بكل ما أنزل علىٰ الأنبياء الذين تضمن ذكرهم كتاب الله المنزل علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو ما أخبر هو به.

وفي ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ قراءتان، بالجمع وهي هذه القراءة، وبالإفراد ﴿وكتابه﴾، وبكل قراءة من هذه قرأ جمهور من العلماء، فمن جمع أراد جمع كتاب، ومن أفرد أراد المصدر الذي يجمع كل مكتوب كان نزوله من عند الله تعالىٰ.

ومعنىٰ هذه الآية أن المؤمنين ليسوا كاليهود والنصارىٰ في أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ مدح يقتضي

الحض علىٰ هذه المقالة وأن يكون المؤمن يمتثلها دائمًا وأبدًا، والطاعة قبول الأوامر.

و﴿غُفۡرَانَكَ﴾، مصدر كالكفران والخسران، ونصبه علىٰ جهة نصب المصادر، والعامل فيه فعل مقدر، تقديره «**اغفر غفرانك**»، أو «**نطلب ونسأل غفرانك**».

﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، إقرار بالبعث والوقوف بين يدي الله تعالىٰ.

ومن فوائد الآية: أن من صفات المؤمنين السمع، والطاعة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾؛ وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥١، ٥٢]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الأحزاب:

٣٦]؛ والناس في هذا الباب علىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من لا يسمع، ولا يطيع؛ بل هو معرض؛ لم يرفع لأمر الله، ورسوله رأسًا.

القسم الثاني: من يسمع، ولا يطيع؛ بل هو مستكبر؛ اتخذ آيات الله هزواً، كقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان: ٧]، وكقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]؛ وهذا أعظم جرمًا من الأول.

القسم الثالث: من يسمع، ويطيع؛ وهؤلاء هم المؤمنون الذين قالوا سمعنا وأطعنا، وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيهم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١].

ومن فوائد الآية: أن كل أحد محتاج إلىٰ مغفرة الله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿غُفْرَانَكَ﴾؛ فكل إنسان محتاج إلىٰ

مغفرة – حتىٰ النبي ﷺ محتاج إلىٰ مغفرة؛ ولهذا لما قال ﷺ: «**لن يُدخل الجنة أحداً عملُه قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة**».

قوله عز وجل:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

قوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ خبرٌ جزمٌ، نصَّ علىٰ أن الله لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلوب والجوارح إلا وهي في وسع المكلف، وفي مقتضىٰ إدراكه وبُنيته، وبهذا

انكشفت الكربة عن المسلمين في تأولهم أمر الخواطر.

وهذا المعنىٰ الذي ذكرناه في هذه الآية يجري مع معنىٰ قوله تعالىٰ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿يُكَلِّفُ﴾، يتعدىٰ إلىٰ مفعولين أحدهما محذوف تقديره «عبادةً» أو شيئًا.

وقوله تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يريد من الحسنات، ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ يريد من السيئات، والخواطر ونحوها ليس من كسب الإنسان. وجاءت العبارة في الحسنات ب لَها من حيث هي مما يفرح الإنسان بكسبه ويسر بها فتضاف إلىٰ ملكه، وجاءت في السيئات ب عَلَيْها، من حيث هي أوزار وأثقال ومتحملات

صعبة. وهذا كما تقول لي مال وعلي دين.

وقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ معناه قولوا في دعائكم.

واختلف الناس في معنىٰ قوله ﴿نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فذهب الطبري وغيره إلىٰ أنه النسيان بمعنىٰ الترك، أي إن تركنا شيئا من طاعتك وأنه الخطأ المقصود. قالوا وأما النسيان الذي يغلب المرء والخطأ الذي هو عن اجتهاد فهو موضوع عن المرء، فليس بمأمور في الدعاء بأن لا يؤاخذ به.

وذهب كثير من العلماء إلىٰ أن الدعاء في هذه الآية إنما هو في النسيان الغالب والخطأ غير المقصود، وهذا هو الصحيح عندي.

قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾

«والإصر» الثقل وما لا يطاق علىٰ أتم أنواعه، وقيل: الإصر العهد والميثاق الغليظ. وقيل: الإصر الذنب لا كفارة فيه ولا توبة منه. وقال مالك رحمه الله: الإصر: الأمر الغليظ الصعب.

ولا خلاف أن الذين من قبلنا يراد به اليهود. قال الضحاك: والنصارىٰ.

وأما عبارات المفسرين في قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ فقال قتادة: لا تشدد علينا كما شددت علىٰ من كان قبلنا. وقال الضحاك: لا تحملنا من الأعمال ما لا نطيق، وقال ابن جريج: لا تمسخنا قردة وخنازير، وقال السدي: هو التغليظ والأغلال التي كانت علىٰ بني إسرائيل من التحريم.

ثم قال تعالىٰ فيما أمر المؤمنين بقوله: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ أي فيما واقعناه وانكشف ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ أي استر علينا

ما علمت منا ﴿وَٱرۡحَمۡنَآ﴾ أي تفضل مبتدئا برحمة منك لنا.

﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾ مدح في ضمنه تقرب إليه وشكر علىٰ نعمه.

ثم ختمت الدعوة بطلب النصر علىٰ الكافرين الذي هو ملاك قيام الشرع وعلو الكلمة ووجود السبيل إلىٰ أنواع الطاعات.

وروي أن جبريل عليه السلام أتىٰ محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: قل رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا، فقالها فقال جبريل قد فعل، فقال: قل كذا وكذا فيقولها فيقول جبريل: قد فعل إلىٰ آخر السورة، وتظاهرت بهذا المعنىٰ أحاديث، وروي عن معاذ بن جبل أنه كان إذا فرغ من قراءة هذه السورة قال آمين.

من فوائد الآية: بيان رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعباده، حيث

لا يكلفهم إلا ما استطاعوه؛ ولو شاء أن يكلفهم ما لم يستطيعوا لفعل.

ومن فوائد الآية: إثبات القاعدة المشهورة عند أهل العلم؛ وهي: لا واجب مع العجز؛ ولا محرم مع الضرورة؛ لكن إن كان الواجب المعجوز عنه له بدل وجب الانتقال إلىٰ بدله؛ فإن لم يكن له بدل سقط؛ وإن عجز عن بدله سقط؛ مثال ذلك: إذا عجز عن الطهارة بالماء سقط عنه وجوب التطهر بالماء؛ لكن ينتقل إلىٰ التيمم؛ فإن عجز سقط التيمم أيضاً - مثال ذلك: شخص محبوس مكبل لا يستطيع أن يتوضأ، ولا أن يتيمم: فإنه يصلي بلا وضوء، ولا تيمم.

ومثال سقوط التحريم مع الضرورة: رجل اضطر إلىٰ أكل الميتة بحيث لا يجد ما يسد رمقه سوىٰ هذه الميتة: فإنه يحل له أكلها.

ومن فوائد الآية: أن الإنسان لا يحمل وزر غيره؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

ومنها: أن الأعمال الصالحة كسب؛ وأن الأعمال السيئة غُرْم؛ وذلك مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿لَهَا﴾، ومن قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَيْهَا﴾؛ فإن «علىٰ» ظاهرة في أنها غُرم؛ واللام ظاهرة في أنها كسب.

٨ - ومنها: رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالخلق، حيث علمهم دعاءً يدعونه به، واستجاب لهم إياه في قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

من فضائل اللآيتين:

وروىٰ أبو مسعود عقبة بن عمرو عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليل كفتاه، يعني من قيام الليل، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما أظن أحدا عقل وأدرك الإسلام ينام

حتىٰ يقرأهما. وروي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أوتيت هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن أحد قبلي**».

١ - أنها من كنز تحت العرش.

٢ - أنها فتحت لها أبواب السماء عند نزولها.

٣ - أنها لم يعطها أحد من الأنبياء قبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤ - أن من قرأهما في ليلة كفتاه

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مراجع المادة:

تفسير ابن جرير الطبري، تفسير ابن كثير، تفسير السعدي، تفسير ابن عثيمين، رحم الله الجميع.

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتيبات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط التالي:

https://www.baynoona.net/ar/all/e-books